المحاضرة الثالثة عشرة

الأسلوب والبلاغة (02)

مقدمة

تُعد الأسلوبية أو علم الأسلوب فرعًا نقديًا متطورًا، يستمد منهجه وأدواته التحليلية من التقدم المستمر في علم اللغة الحديث. ويتميز علم الأسلوب بدراسته العميقة للتحليل اللغوي الذي لا يقتصر على مجرد تحليل النصوص الأدبية، بل يمتد ليشمل كافة أنواع الخطاب اللغوي، سواء أكان أدبيًا أم غير أدبي. هذا العلم، وعلى الرغم من تأثره الواضح بالبلاغة التقليدية، يبتعد عنها في مناهجه ويتجاوز أطرها النظرية القديمة ليقدم رؤية تحليلية شاملة تعتمد على مستويات متعددة تشمل الأصوات، المعاني، والتراكيب. ولذا، فبينما تركز البلاغة التقليدية على علوم المعاني والبيان والبديع، يتجاوز علم الأسلوب ذلك ليشمل أيضًا التحليل الصوتي والدلالي والتركيبي، مما يجعله أداة تحليلية أوسع نطاقًا وأكثر شمولية. وبهذا الاتساع، يُسهم علم الأسلوب في استكشاف أثر اللغة على السياق الاجتماعي والنفسي، مما يمنحه عمقًا أكبر في تفسير النصوص وتأويلها. ويمكن اعتبار هذا العلم نتاجًا لتطور حتمي يواكب التحولات الفكرية والعلمية، جامعًا بين الأسس التقليدية والنظريات الحديثة لتحليل اللغة.

وقد وجد علم الأسلوب اهتمامًا واسعًا من الباحثين المعاصرين الذين سعوا إلى تطبيق مناهجه على النصوص المختلفة بهدف الوصول إلى فهم أعمق للأدب والخطاب. ومن بين هؤلاء الباحثين نجد أسامة بحيري، الذي درس تطور البنية البلاغية في البلاغة الجديدة، ويوسف أبو العدوس، الذي طور دراسة نظرية وتطبيقية عن الأسلوبية في كتابه "الأسلوبية النظرية والتطبيق"، وماهر هلال الذي قدم رؤى نقدية متميزة تربط بين النقد التقليدي والأسلوبية. وقد أجمعت هذه الدراسات على أن البلاغة التقليدية تعالج النصوص الأدبية بعلومها الثلاثة، إلا أن علم الأسلوب يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يعتمد على مستويات متداخلة تشمل الصوتيات، والمعجم، والبنية اللغوية للنص، ليحقق فهمًا أعمق للتعبير الأدبي بعيدًا عن حدود البلاغة التقليدية التي قد تبدو محدودة في تعاملها مع التنوع اللغوي الحديث.

وقد تباينت الآراء حول تعريف علم الأسلوب وتحديد نطاقه، إذ يرى البعض مثل "جورج مولينيه" أنه فرع من اللسانيات الحديثة مخصص لتحليل الأساليب الأدبية وأسلوب الاختيارات اللغوية، معتبرًا أنه يتناول الجوانب التي يختارها المتحدثون والكتّاب في بيئات وسياقات متعددة، ويشير هذا التعريف إلى أن الأسلوبية تعتمد بشكل رئيس على التحليل اللساني كقاعدة لفهم الخطاب بجميع مستوياته. هذا الرأي يعكس الأصول الأوروبية لعلم الأسلوب، حيث نشأ في بيئة معرفية غربية، وتم تطويره ليصبح علمًا مستقلًا ينطوي على استراتيجيات متقدمة في التحليل اللغوي، مما يميزه عن البلاغة التقليدية. وقد ساعد هذا التوجه على إعادة صياغة مفهوم الأسلوبية ليشمل تقنيات جديدة في فهم اللغة كوسيلة تأثير وإقناع. كما يعكس انفتاحه على العلوم المجاورة، مما أضفى عليه طابعًا متعدد الأبعاد يتماشى مع تطورات الدراسات الإنسانية.

ومن الجوانب المميزة في علم الأسلوب هو امتداده ليشمل علومًا أخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع، مما يتيح له الاستفادة من تلك العلوم لإجراء تحليلات تتجاوز الحدود اللسانية الصرفة. إن هذا التداخل بين الأسلوبية والعلوم الأخرى يضيف بُعدًا متعدد الأوجه في دراسة النصوص والخطابات، مما يجعله مجالًا خصبًا للبحث يُعنى بفهم النصوص الأدبية وغير الأدبية على حد سواء، من خلال النظر إلى اللغة بوصفها منظومة متعددة الأبعاد ذات تأثير اجتماعي ونفسي. وبالتالي، نجد أن علم الأسلوب قادر على تقديم رؤية تحليلية تتجاوز حدود الأدب، مما يضفي عليه طابعًا شموليًا يُمكنه من الانخراط في تحليل الخطابات في مجالات متعددة.

وقد أسهم تطور علم الأسلوب في دفع بعض النقاد للتساؤل حول ما إذا كان يمكن اعتباره وريثًا للبلاغة التقليدية أو مجرد امتداد لها. وفي الواقع، يُعد علم الأسلوب جزءًا من التحول المعرفي في علم اللغة الحديث، فهو يسعى إلى الجمع بين الأسس البلاغية التقليدية والتحليلات الحديثة التي تعتمد على المناهج البنيوية والمعرفة اللغوية العميقة، بما يمكن من فهم جوانب متنوعة من النصوص الأدبية.

إذن، يُمثل علم الأسلوب منهجًا شاملًا يعكس التقدم المستمر في الدراسات اللسانية، حيث بات معترفًا به كعلم مستقل بفضل قدرته على التحليل المتعمق للنصوص بطرق تتخطى الأساليب التقليدية، ليصبح علمًا ذا بنية معرفية معقدة تتجاوز حدود الأدب إلى ميادين أخرى في الحياة الإنسانية، مثل علم النفس والاجتماع، مما يجعله أداة فعّالة في دراسة تأثير اللغة على الإنسان والمجتمع بشكل شامل.

I. علم الأسلوب: الوريث الشرعي للبلاغة

يتبادر إلى الذهن السؤال: هل يعد علم الأسلوب الوريث الشرعي للبلاغة؟ وللإجابة على هذا التساؤل، يمكن القول إن علم الأسلوب نشأ استجابةً للحاجة إلى منهج نقدي جديد يتجاوز التقاليد البلاغية القديمة. فهو ليس مجرد امتداد للبلاغة التقليدية، بل نتاج تطور متسارع في علم اللسانيات الحديث، حيث استطاع أن يُرسخ وجوده كعلم مستقل له مناهجه وأساليبه الفريدة التي ترتكز على التحليل الشامل للنصوص بمستوياتها الصوتية والدلالية والتركيبية. هذا الاستقلال جاء بعدما أرسي علم الأسلوب أسسًا متينة اكتسب بها هوية علمية متميزة تتماشى مع معايير العلم الحديث.

ومع تطور العلوم اللسانية، لم تعد البلاغة قادرةً على تلبية احتياجات التحليل الأدبي واللغوي بالكامل، ما أدى إلى بروز علم الأسلوب كبديل أكثر شمولية، فهو لا يكتفي بدراسة الجوانب الجمالية في النصوص، بل يمتد ليشمل كل ما يتعلق بالبنية اللغوية والمكونات المعرفية في الخطاب، سواء أكان أدبيًا أم غير أدبي. هذا التحول ساعد علم الأسلوب على توسيع أفقه ليصبح أداة تحليلية رئيسية ومتكاملة، تتفوق في دقتها وشموليتها على ما تقدمه البلاغة التقليدية، دون أن تنفصل كليًا عن جذورها البلاغية.

1. العلاقة بين علم الأسلوب والبلاغة التقليدية

تُعد العلاقة بين علم الأسلوب والبلاغة التقليدية علاقة معقدة، حيث يتداخلان في بعض الأهداف، ولكن تُميز بينهما اختلافات جوهرية. فالبلاغة كانت تهتم أساسًا بعلوم المعاني، والبيان، والبديع، مركزةً على تحسين الخطاب وإبراز جمالياته لتحقيق تأثير أكبر على المستمع أو القارئ. في المقابل، يتجاوز علم الأسلوب هذه الحدود ليشمل كافة مستويات التحليل اللغوي. فهو لا ينظر إلى النص بوصفه أداة للبلاغة والجمال فحسب، بل يدرسه ككيان لغوي متكامل يمتاز بأبعاده الصوتية، والتركيبية، والدلالية. وهنا تكمن شمولية علم الأسلوب، إذ يُحلل أثر النص على المتلقي في مستويات مختلفة، مستخدمًا أدوات تحليل دقيقة تساعد على فهم كيفية تشكّل المعاني بعمق، مما يمنح الباحثين رؤية أوسع حول البناء الداخلي للنص وأثره النفسي والجمالي.

- **أولًا: العلمية في علم الأسلوب**

أحد الجوانب الرئيسية التي تميز علم الأسلوب عن البلاغة التقليدية هو طابعه العلمي. فعلم الأسلوب يستخدم الأدوات والمنهجيات العلمية لدراسة النصوص، حيث يقوم على التحليل اللغوي المبني على أسس تجريبية وتقنية تضمن الموضوعية. لا يكتفي علم الأسلوب بتأمل الجماليات الأدبية، بل يسعى إلى الكشف عن بنيتها الداخلية. هذه الرؤية العلمية تعني أن علم الأسلوب لا يركز على الانطباعات الذاتية حول النص، بل يتجاوزها نحو تحليل معمق لعناصر الخطاب اللغوي، مما يسمح بفهم أعمق لكيفية إنتاج المعاني والتأثير على المتلقي.

يعتبر علم الأسلوب محاولة منهجية تعتمد على التجربة والتحليل التقني لتفكيك النص وفهم بنيته، ومن ثم استخراج قيمه الجمالية بطريقة موضوعية تعتمد على علاقات داخلية بين عناصره. يركز علم الأسلوب على تمييز أنماط الأسلوب، والتوصل إلى قوانين عامة تعبر عن كيفية تشكل هذه الأنماط، وهي مقاربة تتجاوز الحكم الذاتي أو المعايير التقليدية للجودة الأدبية، وتركز بدلًا من ذلك على إدراك خصوصيات النص من خلال منهجية تضمن الاستمرار في تحليل متعدد الجوانب.

- **ثانيًا: شمولية علم الأسلوب**

يتميز علم الأسلوب بشموليته مقارنةً بالبلاغة التقليدية؛ فهو علم يتناول مستويات متعددة للنص، تشمل التحليل الصوتي والدلالي والتركيبي، بالإضافة إلى رصد الأبعاد النفسية والاجتماعية التي يحملها الخطاب. هذا التنوع يجعله أداة تحليلية متقدمة تتجاوز حدود البلاغة التي ظلت محصورة في النصوص الأدبية، مما يسمح بتفسير أوسع للتفاعل اللغوي وتأثيره. هذا الاتساع في التحليل يجعل علم الأسلوب قادرًا على دراسة مختلف الأنماط الخطابية، سواء كانت أدبية أو غير أدبية، مما يزيد من عمق فهم النصوص وتأثيراتها ويمنحه قدرة أكبر على مواكبة تطورات اللغة والتواصل في مختلف المجالات.

إن علم الأسلوب يجمع بين التركيب والتحليل في مستويات متنوعة للنص تشمل الكلمات والجمل والفقرات وحتى النص بأكمله. هذه الشمولية ساهمت في تطوير علم الأسلوب ليصبح بديلاً أكثر مرونة من البلاغة التقليدية، حيث يتيح إمكانية تحليل النصوص بأساليب متعددة تتناسب مع تطور الخطاب الإنساني في كافة أشكاله. وهكذا، أصبح علم الأسلوب قادراً على استيعاب التغيرات الحاصلة في علوم اللغة ومفاهيمها، وتمدد نطاقه ليشمل مجالات دراسية جديدة لم تكن البلاغة التقليدية قادرة على تحليلها.

يمكننا القول إن علم الأسلوب، بالرغم من ارتباطه الوثيق بالبلاغة التقليدية، قد تطور ليصبح علمًا مستقلاً يتميز بالمنهجية العلمية والشمولية في التحليل. فهو لا يقتصر على دراسة الجوانب الجمالية في النصوص، بل يتعمق في بنيتها اللغوية والوظيفية، مما يتيح فهمًا أكثر شمولًا ودقة لمدى تأثيرها وأثرها في المتلقي. هذا التطور جعل علم الأسلوب وريثًا شرعيًا للبلاغة، ولكنه وريث يسعى إلى تجديدها وتوسيع آفاقها لتتوافق مع متطلبات العصر الحديث، من خلال تبني أدوات تحليلية متقدمة توفر رؤية شاملة تجمع بين الأصالة والحداثة، وتواكب تطورات الفكر اللغوي والنقدي في دراسة الخطاب.

2. التكامل بين البلاغة وعلم الأسلوب

على الرغم من أن علم الأسلوب قد أسس لنفسه منهجًا علميًا فريدًا بفضل استفادته من تطورات علم اللسانيات الحديثة، فإنه لم ينفصل بالكامل عن جذوره البلاغية، بل يظهر في العديد من الأحيان كامتداد وتطوير للبلاغة التقليدية. فالكثير من المفكرين والباحثين يرونه تجسيدًا لـ "بلاغة جديدة"، كما أشار بيير جيرو بقوله إن علم الأسلوب هو "بلاغة حديثة ذات شكل مزدوج، تجمع بين علم التعبير ونقد الأساليب الفردية." هذا الوصف يؤكد على أن علم الأسلوب لا يهدف إلى إلغاء البلاغة أو التغاضي عن تقاليدها، بل يسعى إلى التكامل معها، مستفيدًا من قواعدها الراسخة ويضيف إليها أدوات تحليلية متقدمة تجعلها أكثر ملاءمة لفهم النصوص الحديثة. فالتداخل بين المجالين يعزز من قدرتهما على تحليل النصوص بشكل أعمق، ويمنح البلاغة التقليدية مرونة جديدة تستوعب المستويات المعقدة من التراكيب والمعاني، مما يعكس تماشي البلاغة والأسلوبية مع تطورات العصر وأدواته العلمية.

في هذا السياق، لا ينظر الباحثون الأسلوبيون إلى علم الأسلوب كقطيعة تامة مع البلاغة، بل يعتبرونه تطورًا طبيعياً لها. فـ"رومان ياكوبسون"، مثلاً، يبرز أن الصور البيانية التقليدية التي طورتها البلاغة القديمة مثل الكناية والاستعارة والمجاز، ما زالت ذات أهمية في التحليل الأسلوبي المعاصر، حيث يتم تفسيرها وإعادة توظيفها في ضوء المنهجيات اللغوية الحديثة. هذا التكامل يعكس مرونة البلاغة وقدرتها على التكيف مع الأساليب التحليلية الجديدة، مما يجعلها قادرة على تفسير مختلف الخطابات الأدبية وغير الأدبية بفعالية عالية، حيث يسهم علم الأسلوب في تعميق فهم القيم الجمالية والنفسية للنصوص، مشكلاً بذلك جسراً بين التراث البلاغي والتحليل اللغوي الحديث.

3. علم الأسلوب بوصفه بلاغة جديدة

يمكننا القول إن علم الأسلوب أصبح الوريث الشرعي للبلاغة، لكنه ليس وريثًا بالمعنى التقليدي، إذ إنه تجاوز البلاغة التقليدية ليؤسس علمًا شاملًا يدرس كافة جوانب الخطاب، ويعتمد على أدوات علمية حديثة ومنهجيات دقيقة في التحليل. فهو يعيد صياغة قواعد البلاغة ضمن إطار أكثر شمولًا، لا يقتصر على النص الأدبي، بل يمتد إلى جميع أشكال الخطاب اللغوي، سواء كانت علمية، إعلامية، أو حتى خطابًا يوميًا.

هذا التوسع والشمولية جعلا علم الأسلوب أداة حيوية في الدراسات اللغوية الحديثة، حيث بات يُنظر إليه على أنه العلم الذي يمكنه تفسير وتحليل النصوص بمختلف أنواعها في ظل بيئة معرفية متطورة ومتعددة الأبعاد. من خلال الجمع بين التحليل اللغوي العميق والنظرة النقدية، يوفر علم الأسلوب منظورًا جديدًا لفهم تأثير اللغة على المتلقي. كما يتيح توظيف تقنيات متعددة مثل التحليل الصوتي، الدلالي، والتركيبي، مما يسمح له بفهم أدق وأعمق للنصوص وتعقيداتها. هذا الاندماج بين البلاغة التقليدية والأسلوبية الحديثة يمثل تجديدًا وتطويرًا يساهم في تلبية احتياجات البحث العلمي المعاصر، ويجعل علم الأسلوب علمًا قادرًا على مواكبة وتحدي تطورات الخطاب الإنساني في كل مجالاته.

II. علمية الأسلوبية

أثار علو علم الأسلوب نقاشات كثيرة، وخلافات واسعة بين الباحثين فتأرجح الأمر بين معارض ومؤيد، فأما المؤيدون فقد كثرت في تعريفاتهم لذلك كلمة "علم" ورديفاتها "موضوعية" ومشتقاتهما للدلالة على علمية علم الأسلوب، وأما المعارضون فقد خلت تعريفاتهم منها. يتحمس مثلا "عبد السلام المسدي" وهو السباق إلى نقل المصطلح، وترويجه بين الباحثين العلمية الأسلوبية في غير موضع من مؤلفاته التي أفردها للحديث عن علم الأسلوب، ويرى أن التفاعل مع العقلنة التدريجية التي شهدتها العلوم الألسنية عامة، والتفاعل مع مناهج البحث المعاصر المستمدة من الإلهام العلماني قد أكسب علم الأسلوب مشروعية العلم؛ ولذلك نراه يفرد عنوانا خاصة في كتابه أسماه "العلم وموضوعه"، تعزيزا للفكرة الدائرة في خلده، ويرى "عبد السلام المسدي" أن علمية علم الأسلوب قد جاءت بسبب "تطور نظرية المعرفة في الفلسفة المعاصرة، وميل، ونزوع العلوم اللسانية إلى العقلنة، والعلمانية."

ويذهب المذهب نفسه سعد مصلوح إذ يميل إلى اعتبار الأسلوبية علم بل يذهب إلى "أبعد من ذلك حين يقرر أن لعلم الأسلوب عددا من العلوم تندرج تحته مثل: علم الأسلوب التأثيري، وعلم الأسلوب الموضوعي"، غير أن هذا التفكير في اندراج علوم تحت علم واحد مستبعد؛ فالذي يعده من باب العلوم المندرجة هنا ليس له من مستند إلا ما يقرره علم الأسلوب، وليس له من منهج تناول مصطلحات علم الأسلوب.

ويشير "صلاح فضل" في غير موقع من كتابيه: "علم الأسلوب"، و"بلاغة الخطاب وعلم النص" إلى علمية الأسلوبية أيضا، ويضاف إلى ذلك أن المنظر الأول للأسلوبية "بالي" يراها علما قائمة بذاته.

ويضع "صلاح فضل" "علم الأسلوب" في الزاوية ذاتها التي ذكرنا كل من "ماروزو" و"كراسو"، حيث نادى كل منهما بشرعية علم الأسلوب، وعده علم له مقوماته، وأدواته الإجرائية، وموضوعه، ودعم هذا الرأي "جاكبسون"، و"ميشال ريفاتير"، و"ستيفن أولمان"، و"باختين"، و"هنريش بليث"، وسواهم من الباحثين، من مثل "عبد القادر المهيري"، و"ستاروبنسكي"، و"طه وادي"، و"نور الدين السد"، و"عبده الراجحي"، و"برند شبلنر"، و"فريد هوسن هولن"، و"أحمد درويش"، و"عدنان بن ذريل"، و"شكري عياد"، و"بيير جيرو"، و"منذر عياشي"، و"عمران الكبيسي"، و"مازن الوعر"، و"رنيه ويلك"، و"أستن وارين"، و"محمد عبد المطلب". وحرص بعض العلماء السابقين، وتحمسهم الشديد للقضية، على أن يحتوي العنوان كلمة "علم" للفت النظر، والانتباه، وتوجيه الأذهان إلى هذه المنهجية العلمية، ومن هذه الكتب على سبيل المثال: "علم الأسلوب" لصلاح فضل، "مدخل إلى علم الأسلوب"، و"اللغة والإبداع"، و"مبادئ علم الأسلوب العربي"، و"البلاغة العربية"، و"علم الأسلوب" ضمن اتجاهات البحث الأسلوبي لشكري عياد.

ومن الطبيعي - كباقي المعارف الإنسانية - أن يمتعض بعض الباحثين من القول بعلمية علم الأسلوب، ويقفوا من ذلك موقف المعارض، ومن هؤلاء العلماء، "كمال أبو ديب" الذي يذهب إلى "نزع العلمية عن علم الأسلوب معتبرا أن القول بعلميته، ومحاولة اكتشاف الخصائص الفردية في كل كيان لغوي، يشكلان أمرا يصعب فيه التوحيد بينهما، ويرى أنه من الصعب أن نوحد بين اكتشاف الخصائص الفردية المكونة التي لا يمكن أن تؤدي إلى مجموعة من القوانين التي تحكم تطور الحقل المعرفي، ومن هنا فإن الجمع بين العلمية، وعدم القدرة على الوصول إلى القوانين التي تحكم الحقل المعرفي، يشكلان عائقا يحول دون إعطاء علم الأسلوب مصطلح العلمية، ويحدد "كمال أبو ديب" غاية العلم بسعيه إلى اكتشاف سلسلة من القوانين التي تحكم المادة موضوع العلم."

إن هذا الاعتقاد الغريب الذي يذهب إليه "كمال أبو ديب" ينفيه الواقع، ويثبت عكسه، فعلم الأسلوب "وإن تحرك في مجال اكتشاف الخصائص الفردية المكونة للنص، فهو يسعى إلى اكتشاف قوانين النص الذي تتعامل معه، وهي قوانين، وإن كانت تصور استخدامات فردية، إلا أنها مستمدة من نظام عام تنتظمه قوانين عامة كتلك التي ينادي بها "كمال أبو ديب"، والاستخدامات الفردية تتبع في سيرها تلك القوانين العامة المكتشفة أصلاً، مما يؤكد على وجود بنية منظمة تحكم هذا العلم. كما أن هذه البنية تجعل من علم الأسلوب إطاراً متكاملاً يعالج التفاصيل اللغوية الدقيقة ويوفر تفسيراً علمياً لأشكال التعبير المختلفة.

ولو نظرنا إلى القوانين الطبيعية، نجد أنها تتشكل من حالات فردية تنطلق منها العلوم لوضع قوانين عامة؛ إذ إن كل حالة طبيعية تنتظم في قوانين معينة خاصة بها، ويأتي العالم الطبيعي ليصل منها إلى القوانين العامة التي تضبط سير هذه الحالات. وعند النظر إلى علم الأسلوب، نلاحظ أنه يسعى في أحد مجالاته إلى تقديم قوانين عامة للاستخدام اللغوي، حيث ينطلق من حالات فردية تعكس أنماط الاستخدام اللغوي الخاص، ويعمل على بناء فهم شامل لهذه الأنماط بما يتجاوز مجرد الحالات الفردية.

ويضاف إلى ذلك أن رفض العلمية عند "كمال أبو ديب" وعدم القدرة على الوصول إلى القوانين التي تحكم تطور الحقل المعرفي مسألة تتعلق أساساً بقدرة الباحثين على تحويل النتائج الفردية إلى قوانين عامة، وليس بقصور في علم الأسلوب ذاته. وقد أثارت القضية ذاتها الباحث "جوزيف ميشال" الذي قال: "لا يصبح علم الأسلوب علما لمجرد اقتباسه من علوم أخرى كاللسانيات والإحصاء"، مما يعكس عدم اقتناع البعض بجعل علم الأسلوب علما مستقلاً؛ غير أن التجربة العلمية والتكامل بين العلوم تدحض هذا الرأي، إذ إن الاعتماد على علوم مساعدة لا ينفي استقلالية العلم ذاته. فالفيزياء، على سبيل المثال، علم مستقل على الرغم من استفادتها من الرياضيات والكيمياء والأحياء.

لا يتناقض علم الأسلوب مع الاستعانة ببعض العلوم الأخرى كمكمل في مجال بحوثه، مثل علم الأصوات، ودراسة الألفاظ، والنحو المعياري والتاريخي، بل قد يتداخل مع علوم أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال والبلاغة المتجددة، مما يعزز الفهم الشامل للأساليب اللغوية. ومع تزايد أهمية التداخل بين العلوم، أصبحت منهجية علم الأسلوب واضحة في اعتمادها على أسس علمية ثابتة تهدف إلى تصنيف وتفسير عناصر اللغة بشكل منظم.

ويتبنى هذا النهج عدد من الباحثين مثل "رجاء عيد" الذي أشار إلى أن بعض المحللين الأسلوبيين يرون ضرورة دراسة الأدب بمنهج علمي، إلا أنهم يرون صعوبة تحقق ذلك بسبب التعقيدات الفنية والأدبية للنصوص. ورغم ذلك، فإن علم الأسلوب بفضل اعتماده على أساليب التحليل الدقيقة والموضوعية قادر على تناول هذه الخصائص المتعددة.

إذن، يمثل علم الأسلوب اتجاهاً حديثاً يسعى لتقديم قواعد علمية من خلال فرضيات وتحليلات موسعة تعتمد على بيانات محددة، تتجاوز النظرة التقليدية للأدب، وتجمع بين الجوانب الفنية واللغوية، مما يجعله حقلاً معرفياً متكاملاً يعتمد على التحليل المتعدد الأبعاد، ويمكّن من تحقيق رؤى نقدية معاصرة للنصوص.

III. خلاصة:

تعد الأسلوبية علمًا حديثًا يتجاوز حدود البلاغة التقليدية من حيث التحليل والشمولية، حيث ينبثق من التطورات اللسانية المعاصرة، ويستفيد من أدوات علمية دقيقة لفهم النصوص بأبعادها المتعددة. ويعمل علم الأسلوب على تحليل الخطاب ليس فقط من الناحية الجمالية، بل يتعمق في بنيته الصوتية، التركيبية، والدلالية، مما يجعله علمًا شاملاً يمتد إلى كافة أنواع الخطاب اللغوي، الأدبي منها وغير الأدبي. ومن خلال التكامل بين المبادئ البلاغية التقليدية والمناهج اللسانية الحديثة، يقدم علم الأسلوب رؤية تحليلية متقدمة تساعد في تفسير النصوص وإبراز المعاني الكامنة فيها، متجاوزًا الحكم الذاتي إلى التحليل الموضوعي.

في سياق تطوره، وجد علم الأسلوب قبولاً واسعًا بين الباحثين كمنهج مستقل له منهجيته وخصائصه، حيث يرى البعض فيه "بلاغة حديثة" تعيد صياغة قواعد البلاغة القديمة ضمن إطار علمي يشمل جوانب جديدة لم تكن متاحة من قبل. هذا التحول جعل علم الأسلوب يحتل موقعًا رئيسيًا في الدراسات النقدية المعاصرة، ويمنحه القدرة على التفاعل مع العلوم المجاورة مثل علم النفس وعلم الاجتماع، مما يعزز من شموليته وفائدته في دراسة الخطاب من زوايا متعددة.

في الختام، يمثل علم الأسلوب تطورًا طبيعيًا للبلاغة، ليس بوصفه بديلاً بل مكملاً لها، يسعى لخلق منهج متكامل يحافظ على الأسس التقليدية ويضيف إليها أبعادًا حديثة تسهم في إثراء فهم النصوص وتقديم رؤى نقدية تلبي متطلبات البحث المعاصر.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1) أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998.
2) إنريك أندرسون، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، 1991.
3) برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1991.
4) بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
5) جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999.
6) جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، 1984.
7) حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، بيروت، لبنان، 2007.
8) رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، وعالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
9) رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993.
10) سعد مصلوح، علم الأسلوب والمصارة على المطلوب، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 03، جويلية، 1985.
11) شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1985.
12) شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992.
13) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004.
14) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1982.
15) عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي "علم الأسلوب"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 01، العدد 02، جانفي، 1981.
16) عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989.
17) غراهام هوف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق، بغداد، العراق، 1985.
18) محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995.
19) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1990.
20) يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2007.